

مناقشة طرح سماحة السيد منير الخباز بشأن شخصية زينب الكبرى عليها السلام

تحت عنوان

إزاحة شبهة عن شخصية العقيلة زينب ص

نادر الملاح

10 محرم 1443 هـ - 19 أغسطس 2021

لسنا في هذه الورقة نحاول التطاول على شخص سماحة السيد منير الخباز حفظه الله تعالى، أو الإساءة إلى شخصه الكريم بأي شكل من الأشكال، وإنما هي فقط مناقشة لما تفضل السيد بطرحه في إحدى محاضراته المسجلة، والتي تناول فيها ما رآه حفظه الله تبرئةً للعقيلة زينب صلوات الله وسلامه عليها من شبهة تسيء إلى شخصيتها - وهو ما لا نتفق معه مع حفظنا لمقام السيد الكريم. المناقشة الواردة في هذه الورقة لا تنحصر في القدر الذي تناولته المحاضرة المشار إليها، وإنما هي مبنية على الورقة البحثية لسماحته المعنونة "إزاحة شبهة عن شخصية العقيلة زينب ص"، ذلك أن المحاضرة اقتصر على عرض النتائج دون المقدمات، فكان اللازم مطالعة البحث حفاظاً على الموضوعية والعلمية في مناقشة ما خلص إليه سماحته.

ملخص الورقة البحثية "إزاحة شبهة عن شخصية العقيلة زينب ص"

تبين الورقة البحثية موضوع النقاش أن الباحث على تحريرها هو الرد على استفسار أرسل إلى سماحة السيد بشأن قول بعض المعاصرين إن "زينب كانت مجرد امرأة عادية كسائر النساء، حيث روى المؤرخون عنها صوراً من الجزع والانهيار عند المصيبة، من قبيل انهيارها ليلة العاشر من المحرم عندما سمعت أباها الإمام الحسين عليه السلام ينعى نفسه، ومن قبيل خروجها يوم العاشر ومدافعتها للشمر وهي في حال انهيار وجزع أثناء قتل الحسين عليه السلام، ونحو ذلك من المواقف، وإنما حصل التضخيم لشخصيتها في العقود المتأخرة على بعض الكتاب وخطباء المنبر، حتى اعتُبرت شريكة الحسين عليه السلام في نهضته".

ويؤكد سماحة السيد في ورقته البحثية عصمة السيدة زينب عليها السلام، ويسوق الأدلة الروائية والتحليلية التي يخلص منها إلى العصمة المؤكدة للعقيلة زينب. أما ما يتعلق بما يُنسب إليها من بعض العبارات أو المواقف، فيستنتج السيد بعد عرض عدد من الروايات وتحليلها أن الكلام المنسوب إلى العقيلة زينب عليها

السلام، وهي المكناة زينب الكبرى، هو في الواقع صادر عن أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهي المكناة بزینب الصغرى. وعليه، فإنه ينفي صدور هذه العبارات والمواقف عن العقيلة زينب لتعارضها مع مقام العصمة.

خلاصة طرح سماحة السيد:

- إن العقيلة زينب (زينب الكبرى) عليها السلام لم تخرج من المخيم قبل المصراع الشريف إلا مرات معدودة للقيام ببعض الأمور المهمة، وأن من كانت عند الجسد الشريف تدافع عنه قبل حز الرأس هي زينب الصغرى، وهي أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليهما السلام وزوجة مسلم بن عقيل.
- إن الحوار الذي دار بين الحسين وزينب، والذي قالت فيه "ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم مات جدي... الخ" كان مع زينب الصغرى وليس العقيلة زينب (زينب الكبرى).
- هناك روايتان ثابتتان حول موقف العقيلة زينب عند حز الرأس الشريف، الأولى هي أنها (ع) كانت في خيمة السجاد (ع) فلم تكن تعلم بأن الحسين قد قُتل، والثانية هي أنها كانت عند الجسد الشريف تدافع عنه حيث وبخت عمر بن سعد والآخرين، وهذا يقتضي الجمع بين الروايتين، فتكون زينب الكبرى (العقيلة زينب) هي التي في الخيمة، وزينب الصغرى (أم كلثوم) هي التي عند الجسد.
- إذا صحت الرواية الأولى وأن المعنية هي زينب الكبرى فإن مقتضى القاعدة هو توجيهها بما يتناسب مع مقامها، لأن هذا الموقف منافٍ لعصمتها (ع).

المناقشة:

بعد بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، نقول:

الظاهر من كلام سماحة السيد منير الخباز في الورقة البحثية المعنونة "إزاحة شبهة عن شخصية العقيلة زينب ص"، رغم توثيقه الاستشهادات التي اعتمدها بإيراد المصادر، أن ما خلص إليه سماحته من ترجيح إنما بناه على الاستحسان بالدرجة الأولى، وأن هذا الترجيح لم يكن باعثاً على الاطمئنان حتى لدى سماحته، حيث اختتم كلامه بقوله: "وبالتالي فمن يستظهر أن المنظور في هذه الرواية هي زينب الكبرى العقيلة اعتماداً على القران - ولعل منها المقابلة بين التعبير بزینب (ع) والتعبير بأم كلثوم في بعض المقاتل - أو تنقيح الانصراف - ضمن شروطه، فاستظهاره حجة عليه، ومن يستظهر أن المنظور بها زينب

الصغرى بالنظر لبعض المناسبات والعبارات السابقة فاستظهاره حجة عليه، ولو كانت الرواية الثابتة صريحة في إرادة زينب الكبرى عليها السلام لكان مقتضى القاعدة توجيهها بما يتناسب مع مقامها، كما هو منهج الإمامية في الآيات القرآنية التي قد يلوح من ظاهرها ما ينافي عصمة الأنبياء عليهم السلام". وفي العبارة الأخيرة "لكان مقتضى القاعدة توجيهها بما يتناسب مع مقامها" دلالة واضحة على هذا الاستحسان من جهة، وعلى نظرة السيد حفظه الله على أن ما أسماه "شبهة" فيه إساءة لمقام العصمة.

ولنا حول ما ورد في هذه الورقة بعض الملاحظات:

الملاحظة الأولى:

مما ورد في كلام سماحة السيد الخباز (ص11) قوله: "لكن مما يرجح بنظري كون المقصود بهذا الخطاب (تعزي بعزاء الله... الخ) السيدة العظيمة الجليّة زينب الصغرى المكناة بأُم كلثوم بنت الزهراء والإمام علي عليهم السلام هو: تعبير الإمام السجاد عليه السلام، حيث قال: (فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت، وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع)، وفي نقل الخوارزمي (فأما عمتي زينب فلما سمعت بذلك استعبرت وبكت وكانت ضعيفة القلب فبان عليها الحزن والجزع)...".

فلننظر للجزء السابق من الرواية كما وردت في موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع)، الصادرة عن لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، الصفحة 491-489:

"عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حوي مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل * وكل حي سالك السبيل

فأعادها مرتين، أو ثلاثا حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكوت، فعلمت أن البلاء قد نزل.

فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها
أن وثبتت تجر ثوبها - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه، فقالت:

واثكلاه! لبيت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أُمي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا
خليفة الماضي وثمان الباقي!

فنظر إليها الحسين (عليه السلام) فقال: يا أختي! لا يذهبن بحلمك الشيطان.

قالت: بأبي أنت وأُمي، يا أبا عبد الله! أستقتلت؟ نفسي فداك.

فرد غصته وترقرقت عيناه وقال:

لو ترك القطا ليلا لنام!

قالت: يا ويلتي! أفتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي! ولطمت
وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشياً عليها!

فقام إليها الحسين (عليه السلام)، فصب على وجهها الماء وقال لها:

يا أختي! إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيباً، ولا تخمشي علي وجهاً، ولا
تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت. ثم جاء بها حتى أجلسها عندي."

وجاء النقل في الموسوعة عن تأريخ الطبري 316/3، والإرشاد: 232، والمناقب لابن شهر آشوب: 99/4
مع التعليق في الهامش بعبارة "مع تفاوت يسير"، والكامل في التأريخ/ 560/2، وتاريخ اليعقوبي 2:243،
والبداية والنهاية: 191/8 مع التعليق "مع الاختصار"، وبحار الأنوار: 1/45، والعوالم: 245/17، وأعيان
الشيعة 601/1، ومصادر أخرى.

كما أوردت الموسوعة عن ابن أعم (254، ص491):

"وسمعت هذه الأبيات أخت الحسين زينب، وأم كلثوم فقالتا: يا أخي! هذا كلام من أيقن
بالقتل! فقال: نعم، يا أختاه! فقالت زينب: واثكلاه! لبيت الموت أعدمني الحياة! مات جدي
رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مات أبي علي، وماتت أُمي فاطمة، ومات أخي الحسن
(عليهم السلام) والآن ينعي إلي الحسين نفسه! قال: وبكت النسوة ولطن الخدود، قال:

وجعلت أم كلثوم تنادي: وا جداه! وا أبي علياه! وا أماه! وا حسناه! وا حسيناه! وا ضيعتنا
بعذك! وا أبا عبد الله!

فعدلها الحسين وصبرها، وقال لها: يا أختاه! تعزي بعزاء الله وارضي بقضاء الله، فإن سكان السماوات ينفون وأهل الأرض يموتون وجميع البرية لا يبقون، وكل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإن لي ولك ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد (صلى الله عليه وآله).

ثم قال لهن: أنظرن إذا أنا قتلت فلا تشقن علي جييا ولا تخمشن وجهها."

وعن السيد ابن طاووس (255، ص491-492):

"فعزى الحسين أم كلثوم، وقال لها: يا أختاه! تعزي بعزاء الله فإن سكان السماوات ينفون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون.

ثم قال: يا أختاه، يا أم كلثوم! وأنت يا زينب! وأنت يا فاطمة! وأنت يا رباب! إذا أنا قتلت فلا تشقن علي جييا ولا تخمشن علي وجهها ولا تقلن هجرا."

يظهر من النقل أعلاه، أننا أمام خطابين لا خطاب واحد، أحدهما كان موجهاً لزينب الكبرى والثاني لزينب الصغرى (أم كلثوم). فالمنقول عن ابن أعثم جاء واضحاً بقوله:

"وسمعت هذه الأبيات أخت الحسين زينب، وأم كلثوم فقالتا: يا أخي! هذا كلام من أيقن بالقتل! فقال: نعم، يا أختاه!"

فالراوي استخدم التثنية حيث قال وصفاً للسان الأختين زينب وأم كلثوم (فقالتا)، ثم استخدم الأفراد في الجواب حيث قال (نعم، يا أختاه). ودلالة هذا السياق هي أن إحداهما تكلمت والأخرى سكنت إقراراً إذ لم يبدر منها رد يخالف الإقرار الظاهر. يضاف إلى ذلك ما صدر عن الأختين من جواب متشابه في مضمونه وإن تفاوتت حدة ردة الفعل بين زينب الكبرى وأختها أم كلثوم. قال ابن أعثم: "فقال زينب: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! مات جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مات أبي علي، وماتت أمي فاطمة، ومات أخي الحسن (عليهم السلام) والآن ينعي إلي الحسين نفسه!"، ثم قال "وجعلت أم كلثوم تنادي: وا جداه! وا أبي عليها! وا أماه! وا حسناه! وا حسيناها!".

كما جاء في نقل السيد ابن طاووس: "ثم قال: يا أختاه، يا أم كلثوم! وأنت يا زينب! وأنت يا فاطمة! وأنت يا رباب... الخ"، أي أن الحسين عليه السلام من جهة ذكر زينب عليها السلام في ندائه، قاصداً بها زينب الكبرى قطعاً، حيث نادى أم كلثوم قبلها، فلا يُعقل أن ينادي الحسين عليه السلام أم كلثوم باسمين تعداداً!!

فالمسألة إذن ليست إما وإما، فإما أن تكون زينب الكبرى وإما أن تكون أم كلثوم (زينب الصغرى)، بل إن الموقف حوى الزينبيين الكبرى والصغرى، ولكلٍ منهما قول نقله الرواة.

أما جواب الحسين عليه السلام، فالمخاطب به واضح الظهور، حيث قال الراوي بعد ما أورد نذب أم كلثوم: "فعدلها الحسين وصبرها، وقال لها: يا أختاه! تعزي بعزاء الله وارضي بقضاء الله... إلخ"، وهو ما يؤيده نقل ابن طاووس الذي تضمن اسم المخاطب بهذا القول، حيث قال: "فعزى الحسين أم كلثوم، وقال لها: يا أختاه! تعزي بعزاء الله فإن سكان السموات يفتنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون...". فقول الحسين عليه السلام إذن "تعزي بعزاء الله" كان موجهاً إلى أم كلثوم وهي زينب الصغرى دون ريب، لكن نعاود الإشارة إلى أن كلاً من زينب الكبرى والصغرى قد نذبتا، ثم بكت النسوة، فالكلام وإن كان موجهاً إلى واحدة، وهي أكثرهن جزءاً، والتي كانت زينب الصغرى، فإن المعنى به كل من سمعته، بمن فيهن زينب الكبرى صلوات الله عليهم أجمعين. كما أن نذب زينب الكبرى "واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة..." قد بدا واضح النسبة.

وهنا عدة أمور ينبغي التأمل فيها جيداً، نقصر الحديث فيها على أمرين مهمين:

الأمر الأول:

أنه إلى جانب ما تقدم، يدل النص الأول على وجود زينب الكبرى ضمن دائرة الحديث، حيث قال علي بن الحسين عليه السلام: "إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرضني..." إلى قوله: "فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمان الباقي!"

ولما كان الثابت أن من كانت تقوم على رعاية الإمام زين العابدين عليه السلام هي زينب الكبرى لا الصغرى أو غيرها من النساء، وكان ورود اسم (أم كلثوم) في العديد من النقول، فإن أمر تأويل استخدام اسم (زينب) دون تقييد بالصغرى أو الكبرى على أن المقصود به هو الصغرى يكون أمراً منافياً للعقل والمنطق، لاسيما وأن الموضوع موضع بيان لتفاصيل ما جرى، فلا يمكن أن يكون الإمام عليه السلام سبباً في استشكل السامع حول المقصود أي زينب الكبرى أم الصغرى!!

وعليه، فإن قول الإمام عليه السلام: "فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع"، استطراداً لما تقدم من قول الإمام، لا يترك مجالاً للشك بأن المقصود بهذه العبارة هي زينب الكبرى صلوات الله عليها، وهو قول لا ينتقص من مقام العقيلة زينب ولا غيرها من نساء أهل البيت عليهم السلام.

الأمر الثاني:

في كل تلك الروايات، لم يرد الخلاف على أن عبارات "واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! مات جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مات أبي علي، وماتت أمي فاطمة، ومات أخي الحسن" إنما صدرت عن زينب الكبرى لا أم كلثوم. وهو ما سيلي الحديث عنه لاحقاً.

الملاحظة الثانية:

ورد في كلام سماحة السيد: "وقول الحسين عليه السلام لها: (يا أخية، لا يذهبن حلمك الشيطان)، إذ يبعد جداً أن تخاطب بهذه الكلمات جوهرة العصمة العالمية غير المعلمة وريثة أمها وأبيها، ومن تحملت النيابة عن الحسين عليه السلام"، وبغض النظر عن كون المخاطب هو أم كلثوم أو زينب عليهما السلام، فإن هذا القول من سماحة السيد لمستغرب جداً، إذ كان سبب استبعاد احتمالية أن تكون المخاطب هي زينب الكبرى على أساس منفاة هذا القول للعصمة. وهنا نتساءل: هل في قول الله جل شأنه في رسول الكريم (ص): "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ" (الحاقة:44-46)، منفاة لعصمة النبي (ص)؟! وكذلك قوله تعالى "وَأِمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأعراف:200)، ثم "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ" (الأعراف:201)، فهل يشير التعبير القرآني (تذكروا) إلى احتمالية أن ينسى الرسول الأكرم (ص) ذكر الله أمام نزغ الشيطان، إذ لم تقل الآية (ذكروا -بمعنى قالوا أو تلفظوا- فإذا هم مبصرون) وإنما قالت (تذكروا فإذا هم مبصرون)؟! كذلك قوله تعالى "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَادِبِينَ" (التوبة:43)، قال صاحب الميزان "ولما كان الاستفهام للإنكار أو التوبيخ كان معناه: كان ينبغي أن لا تأذن لهم في التخلف والقعود، ويستقيم به تعلق الغاية التي يشتمل عليها قوله: «حتى يتبين لك الذين صدقوا» الآية.."، فهل ينفي هذا العتاب والذي بدأ بقوله تعالى (عفا الله عنك) والعفو عموماً يكون عند الخطأ، هل ينفي هذا عصمة الرسول (ص). وغير ذلك من الآيات القرآنية في هذا المقام، وحاشى أن يكون في كلام الله ما ينفي العصمة عن رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

فكلام سماحة السيد إذن إنما هو استحسان بامتياز، حيث فهم من العبارة (لا يذهبن بحلمك الشيطان) منفاة هذا التوجيه للعصمة دون مسوغ لهذا الفهم، ثم بنى على ذلك استنتاجه.

الملاحظة الثالثة:

لقد بالغ سماحة السيد حفظه الله في التكلف في تأويل المقصود بزینب تارةً بأنها زینب الكبرى وأخرى بأنها أم كلثوم، مع أن الكثير من الروايات التي ذكرت أم كلثوم إنما أشارت إليها باسمها ولم تُكنّها بزینب الصغرى أو بزینب دون تخصيص. والملاحظ أنه في كل مواقع التكلف التي بدرت من سماحته كان الترجيح فيها استحسانياً وإن دعم بعضها شواهد معينة، إلا أنها لا ترتقي لحالة القطع بهذا التأويل.

الملاحظة الرابعة:

قلنا في ما تقدم أنه ما من خلاف على أن عبارات "واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! مات جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مات أبي علي، وماتت أمي فاطمة، ومات أخي الحسن" إنما صدرت عن زینب الكبرى لا أم كلثوم. وهذا الندب ليس ينتقص لا من مقام العصمة ولا من مقام السيدتين الجليلتين صلوات الله عليهما. ألم يذكر القرآن الكريم على لسان سيدة النساء مريم ابنة عمران عليها السلام "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا" (مريم:32)؟! ألم تتمنى عليها السلام الموت رغم علمها اليقيني بأنها تحمل في بطنها وتلد رسولاً اصطفاه الله وفضله على سائر خلقه؟! وما قول السيدة زینب عليها السلام ما قالت ببعيد عن هذا المعنى. إذن لا تعارض ولا تضارب بين كون السيدة زینب عليها السلام عالمةً بما يجري على الحسين ومن معه وعلى النساء والأطفال، وبين الحالة الإنسانية المنبعثة من رقة القلب والعواطف، والتي هي هنا ذات بعدين، الأول كون المنعجي أخوها، والثاني هو كونه إمام زمانها المعصوم. كما لا يفرق هذا القول من السيدة الطاهرة عليها السلام عن قول الإمام الحسين بعد مقتل ابنه علي الأكبر عليهما السلام "على الدنيا بعدك العفا...".

إذن والحال هذه، ليس من مبرر لتأويل قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام "فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع" بأن المقصود به غير زینب الكبرى، ذلك أن هذا القول إنما هو وصفٌ لطبيعة المرأة عموماً، ولا علاقة له بالمدح أو الذم، كما أن عصمة العقيلة صلوات الله عليها لا تُخرجها من كونها امرأة تحمل من الرقة والعاطفة ما لا يحمله الرجل. ثم أن جزع السيدة زینب لفقد إمامها وسيدها سيد شباب أهل الجنة إنما يليق بمقامها العظيم، لاسيما مع ما ورد في الحديث "كل البكاء والجزع مكروه ما خلا البكاء والجزع على الحسين".

الملاحظة الخامسة:

ورد في كلام سماحة السيد (ص7): "الأمر الخامس: لقد وردت في حق السيدة المعبر عنها في كلمات المؤرخين بـ(زينب) في حال مصرع الحسين عليه السلام روايتان:

أ/ إحداهما: ما نقله العالم الجليل الشيخ حبيب الله الكاشاني (رضوان الله عليه) في (تذكرة الشهداء: ص347) من أن السيدة زينب عليها السلام لما رأت تغير أوضاع العالم جاءت إلى الإمام السجاد عليه السلام وسألته عما جرى، فقال لها: يا عمّة ارفعي طرف الخيمة، ونظر فرأى رأس والده الحسين عليه السلام مرفوعاً، فقال لها: يا عمّة تهينني للأسر فقد قتل أبي... وظاهر هذه الرواية أن السيدة زينب عليها السلام لم تكن عند الجسد الشريف حال مقتله، ولم تعلم بقتله".

نقول، أما الاستدلال بهذه الرواية على أن السيدة زينب عليها السلام لم تكن عند الجسد الشريف حين حز رأسه، فهو أمرٌ لا خلاف عليه حيث أنها كانت عند ابنه علي بن الحسين عليهما السلام حينها. أما قول السيد حفظه الله "ولم تعلم بقتله" ففي القول نظر. فإن عدم وجودها عند الجسد الشريف لا يعني بالضرورة عدم علمها بأنه قد قُتل، لاسيما وأنه لا خلاف على علمها عليها السلام بما يجري في كربلاء، كما أن الآيات الكونية التي صاحبت قتل الحسين لا تخفى على أحد، فكيف تخفى على من هي "عالمة غير معلمة". كما أن هذا الافتراض إن صح، فإنه يعني أن علي بن الحسين عليه السلام أيضاً لم يعلم بقتل أبيه، وإنما تبين له ذلك فقط بعد أن كشفت له عمته زينب طرف الخيمة فرأى الرأس الشريف.

وسبق أن أوردنا في الاستشهاد الأول قول علي بن الحسين عليهما السلام حين سمع قول أبيه (يا دهر أف لك من خليل... الخ): "فأعادها مرتين، أو ثلاثاً حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكوت، فعلمت أن البلاء قد نزل". أي أن علي بن الحسين (ع) إنما فهم نزول البلاء لما أعاد الحسين (ع) نعيه نفسه مرتين أو ثلاثاً.. فهل يمكن أن نستشف من ذلك أن علي بن الحسين لم يكن يعلم ما يجري في كربلاء مسبقاً، والحال أن الحسين (ع) أخبر أصحابه بما يجري عليهم يوم العاشر؟! وعلى فرض عدم علمه، هل ينافي ذلك كونه معصوماً؟! قطعاً لا.. فليس عدم علم الإمام زين العابدين ولا عدم علم السيدة زينب بمقياس يتعلق بالعصمة حتى ننبري لتأويل اسم السيدة زينب هنا أو هناك بأنه تارةً زينب الكبرى وتارةً أم كلثوم. فالعلم بما يجري في كربلاء حاصلٌ في صدورهم عليهم السلام دون أدنى شك، وإنما هي اللوعة والحزن والألم من جهة، وسير الأحداث وفق الحال الطبيعية من الجهة الأخرى. ثم أنه ما من مانع يحول دون أن تكون السيدة زينب عليها السلام عند الجسد الشريف تدافع عنه في بادئ الأمر إلا أنها عادت إلى المخيم بناءً على أمر إمامها، فلما حُزَّ رأس الحسين عليه السلام كان الموقف سالف الذكر، أي أنها كانت عند علي بن الحسين، لتخرج بعدها بشموخ رغم الألم، وتجلس عند الجسد

الطاهر لتقول "اللهم تقبل منا هذا القربان" (شجرة طوبى، ص393، حياة الإمام الحسين (عليه السلام) للقرشي، ص301).

ولما كانت الروايتان اللتان أوردهما سماحة السيد حفظه الله ثابتتان ومعتبرتان، كما أكد سماحة السيد، فإن أحد أوجه الجمع الممكن بينهما هو ما ذكرنا وهو وجّه لا يستلزم وجود شخصيتين أخذاً بعين الاعتبار استخدام الرواة اسم زينب لا أم كلثوم، وليس في الأمر تخصيص بالكبرى أو الصغرى. أي أنه ليس بالضرورة أن تكون واحدة عند الجسد وأخرى في الخيمة، لاسيما كما أشرنا سابقاً أن النقل في الروايتين جاء على أنها زينب عليها السلام، بينما رأينا أن التعبير عن زينب الصغرى في المنقولات جاء باسم "أم كلثوم". وهذا، بالإضافة إلى ما تقدم طبعاً، ما يدعونا للقول بتكلف سماحة السيد في التأويل والبحث عن احتمالات تؤيد استحسانه وترجيحه رأياً على رأي دون أن يكون لهذا الترجيح قاعدة صلبة يستند عليها.

والمحصلة هي أنه لا شُبْهَةٌ في الأمر تحمل في مضمونها أي إساءة إلى شخصية عقيلة بني هاشم السيدة الطاهرة زينب صلوات الله وسلامه عليها، سواءً كانت الأقوال الواردة في الروايات صادرة عنها أو عن غيرها من بنات الرسالة. كما أننا لو اعتبرنا أن مثل هذه المنقولات فيها إساءة فإننا إنما نكون بما تفضل سماحة السيد بطرحه قد برأنا زينب الكبرى صلوات الله وسلامه عليها لنلصق ذات الإساءة إلى شخصية رسالية أخرى هي زينب الصغرى (أم كلثوم) بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، وكأننا لما رأينا جريمة قتل مثلاً ورأينا شخصين واقفين، فقلنا ليس فلاناً من قتل وإنما هو فلان، أي أننا لا ننفي الجريمة وإنما نُبرِّئ أحد الشخصين منها، فيكون الآخر هو القاتل.. وهذا أمرٌ غير مقبول في هذا السياق، إذ إما أن تكون العبارة حاملةً إساءة إلى شخص قائلها وبالتالي لا تصح نسبتها إلى بنات الرسالة عموماً، أو أن تكون العبارة خاليةً أساساً من هذه الإساءة الناتجة عن فهم القارئ، وبالتالي تنعدم الشُبْهَةٌ، ولا يضر المعنى شخص من قالها.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين. اللهم ثبتنا على ولاية الطاهرين، واهدنا سواء السبيل، وأحسن خواتيم أعمالنا إلى خير ما تحب وترضى، وارزقنا في الدنيا ولآيتهم، وفي الآخرة شفاعتهم وتوفنا على هذا العهد برحمتك يا أرحم الراحمين.